قل موتوا بغيظكم

قال الله تبارك و تعالى في سورة آل عمران:

ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ۖ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

و قد استخلصت التفسير التالي من بين عدة تفاسير و بعد رجوعي للقاموس المحيط :

يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا	بِطَانَة	مِنْ دُونكُمْ	لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً	وَدُّوا	مَا عَنِتُّمْ	قَدْ بَدَتْ	البغضاء	مِنْ أَفْوَاههمْ
	أَصْفِيَاء و أصدقاء تُطْلِعُونَهُمْ عَلَى أسراركم	من غَيْرِكُمْ مِنْ الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ	لا يقصِّرون في تمني الفساد لكم	تَمَنَّوْا	ما يشق عليكم (الضرر)	قد ظهرت	الكره و العداوة	بزلات ألسنتهم و بإطلاع المشركين أسراركم

هذه الآية في رأيي من أعظم الآيات القرآنية و القرآن كله عظيم. ما قصدته هو إلقاء الضوء أكثر على هذه الآية العظيمة لسببين :

أولاً : لأنَّ المسلمين أصبحوا يكررون أخطائهم المرة تلو المرة .

ثانياً : لأنَّ الآية تنطبق على المستوى الاجتماعي و الفردي في حياتنا اليومية و هذا أيضاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم .

تنشأ العداوات بين البشر لأسبابٍ عديدة، لا نحصيها و لكن نذكر بعضها :

1) عداوة بسبب الدين أو المذهب.
2) عداوة بسبب الميراث.

3) عداوة بسبب الاعتداء على حق.
4) عداوة بسبب القتل العمد أو الخطأ.
5) عداوة بسبب الاحتقار و الاستهزاء.
6) عداوة بالتوارث (أي أنْ يرث الابن عداوة أبيه لشخصٍ ما، فيعاديه هو أيضاً بالتأثر و التوازي)
7) عداوة بسبب اختلاف المعتقد و التيار الفكري.
8) عداوة بسبب الصراع على الرزق.

لو تأملت الأسباب أعلاه لوجدت أنَّ معظم الأسباب تدور حول اعتداء طرف على طرفٍ آخر فهناك معتدي و هناك معتدى عليه.

موضوع مقال اليوم يتناول كيفية تَـشَـرُّب مفهوم الآية في ذهن و مخيلة المعتدى عليه (المظلوم) و انعكاس تأثيراتها على النظرة و السلوك.

عندما تنشأ عداوة بين اثنين فالعلاقة بينهما تبدأ بأخذ أحد النماذج التالية:

1) الاشتباك بالفعل و القول .
2) قطع العلاقة و المحاربة بالاستنزاف النفسي و المادي .
3) إبقاء العلاقة بإظهار الحياد و إبطان العداوة و رسم الابتسامة الصفراء.

و ما ينطبق على البشر ينطبق عادةً على الدول، فعندما تنشأ العداوة بين دولتين فالعلاقة بينهما تبدأ بأخذ أحد النماذج التالية:

1) الحرب التقليدية. (دبابات و طائرات و قنابل ....)
2) حرب الاستنزاف.
3) الحرب الباردة.

لو دققت عزيزي القارئ لوجدت تناظراً شُعاعياً واضحاً بين النقاط الثلاث الأولى و الثانية بنفسه الترتيب.

من أهم عوامل النجاح و التفوق و الانتصار ما يلي:

1) تأكد من أنك على حق و حاذر تلبيس إبليس و إذا تبين لك أنك على باطل فانسحب و اعتذر و لا تستكبر الاعتذار و لا تعتدِ فصاحب الحق منصور من الله مهما طال الأمد.
2) لا تستخدم كل أسلحتك من أول المعركة و لا تستنزف الذخيرة.
3) لا تفصح عن أسلحتك، فالإفصاحُ مؤشرٌ على ضعفِ الفاعلية.

4) الصبر. فقد قال الله تعالى (إنَّ الله مع الصابرين) البقرة 153 . كما ورد في مسند أحمد في سياق حديثٍ طويل أنَّ محمد رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال: (النصر مع الصبر).

في ضوء الآية المذكورة و المشروحة فإنَّ من الحصافةِ الابتعادُ عن النوع الثالث من أنواع العداوة ذلك النوع الذي قد يعطي متسعاً من المجال لأعدائك و أذنابهم بالالتفاف و التزلف و استقاء ما عندك تمهيداً لتحصين الدفاعات .

و انطلاقاً من كون الإنسان اجتماعياً بطبيعة الفطرة فلا يمكنه الانعزال و لمّا كانت اللقاءات حتمية وجب التنبيه لأخذ الحيطة و الحذر . فسقطات اللسان توحي بما في القلوب.

فمتى تكررت السقطات من شخصٍ ما وجب الابتعاد عنه و عدم مصافاته، مما يعطي انطباعاً بأنَّ ما تخفيه نفسه أكبر و أعظم و هذا يذكرني تماماً بقصيدة الإمام الشافعي رضي الله عنه و أرضاه عندما قال :

فما كل من تهواه يهواك قلبه * ولا كل من صافيته لك قد صفا**

فمن المحتمل جداً أنَّ من تصافيه و تفضي له بأسرارك لا يصافيك و لا يفضي إليك بالمقابلة، بل يستسقي ليبلغ عنك.

قياساً بالآية 119 و استرسالاً لما قد بدأناه فمن المحتمل أنْ تحب عدوك و أنت لا تعلم .

و من الأمور التي حيرتني كثيراً أنَّ الإنسان قد يحب عدوه و هو يعلم أنَّهُ عدوه و لم يزل كذلك لأنَّ الحُبَّ لا عين له ... و لا عقل له.

و هذا ما حصل معي تماماً، حيثُ أنني كنت و لا زلت أحب الكثير من أعلم أنهم يضمرون لي العداوة !! و لا أملك التحكم في قلبي و لعل هذا ما قيد يدي دون توجيه ما هو مؤلم.

و مؤكدٌ أنَّ هذا ما يعطي أبرز الأمثلة على النزاع الدائم بين (العقل و العاطفة و الأنفة) ذلك النزاع الذي تناوله علم النفس بكثيرٍ من الإسهاب و نظَّرَ فيه المنظرون مثل فرويد و غيره.

فالآية الكريمة هنا تنبهنا بالقياس أنَّك من المحتمل أنك تحب عدوك بينما هو لا يحبك و تُــقَــدِّرُهُ و هو لا يُــقَــدِّرُكَ و إذا لقاك أنكر أي خِلافٍ أو عداوة و ادعى الصفاوة و المودَّة و إذا خلا بنفسه عظ على أنامله و أصابعه من الغيظ .

" قل موتوا بغيظكم إنَّ الله عليمٌ بذات الصدور " آل عمران 119

بو بطي 2011/3/9 الأربعاء